2026 شبـــاط مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12A
February 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

التعالق المورفيمي الحر (Free Morpheme) للبنى الصرفية في الحاجات الإنسانية غير القياسية (الثانوية) في شعر أدونيس

م. شەنگ محمد أديب محمد رؤوف
قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة صلاح الدين أربيل
Shang.m.raouf@su.edu.krd
أ.د.عبدالستار صالح أحمد البناء
قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة صلاح الدين أربيل
Abdulsattar.ahmed@su.edu.krd

المستخلص:

يدرس هذا البحث التعالق المورفيمي الحر في شعر أدونيس بوصفه مدخلاً لتحليل الحاجات الإنسانية غير القياسية، منطلقاً من أن المورفيمات الحرة—المتمثلة في الجذور، وضمائر الفصل، وحروف الجر، والأسماء الموصولة، والعالقات الاستفهامية، تتحول في الخطاب لدى أدونيس إلى مورفيمات بؤرية تنتظم حولها شبكة من الوحدات المتعالقة، فتسهم في إنتاج الدلالة النفسية والوجودية، ويتناول البحث ذلك عبر عدد من المباحث التحليلية التي تقرأ النصوص الشعرية للكشف عن كيفية اشتغال هذه المورفيمات الحرة بوصفها مراكز جذب دلالي، تُعاد عبرها صياغة قضايا الهوية والانتماء والتحول والتسامي، ويخلص البحث إلى أن إغفال هذا البعد الصرفي، ولا سيما فاعلية المورفيمات الحرة بوصفها بؤراً دلالية، قد حجب فهماً أعمق للحاجات الإنسانية غير القياسية في شعر أدونيس، وهو ما يسعى هذا البحث إلى تجاوزه.

الكلمات الدالة: العالقات المورفيمية الحرة، الجذر، ضمائر الفصل، الحاجات غير القياسية، شعر أدونيس.

The Free Morphemic Interrelation of Morphological Structures in Non-Standard (Secondary) Human Needs in Adonis's Poetry

L.Shang Mohammed Adeeb M Raouf
Department of Arabic Language, College of Education, Salahaddin University–Erbil
Proph. Abdulsattar Salih Ahmed Albanna
Department of Arabic Language, College of Education, Salahaddin University–Erbil

This study examines free morphemic interrelation in Adonis's poetry as an analytical approach to non-standard (secondary) human needs, proceeding from the premise that free morphemes—represented by roots, copular/separating pronouns, prepositions, relative pronouns, and interrogative operators—are transformed in Adonis's discourse into focal morphemes around which a network of interrelated units is organized, thereby contributing to the production of psychological and existential meaning. The study addresses this framework through a number of analytical axes that engage with poetic texts in order to reveal how these free morphemes function as centers of semantic attraction, through which issues of identity, belonging, transformation, and transcendence are rearticulated. The study concludes that neglecting this morphological dimension—particularly the efficacy

of free morphemes as focal semantic structures—has obscured a deeper understanding of non-standard human needs in Adonis's poetry, a gap this research seeks to overcome.

المقدّمة

يعد المورفيم الحر في اللغة العربية من أهم الوحدات الصرفية الفاعلة في بناء الدلالة، إذ يتمتع باستقلال شكلي وقدرة على الاشتغال الدلالي خارج حدود الكلمة، وتبرز قيمته في كونه عنصراً منظماً للعلاقات المعنوية وموجّهاً للمعنى في البنية الخطابية، بما يضفي على النص كثافةً تعبيرية وطاقةً توليدية، وفي شعر أدونيس، يكتسب المورفيم الحر بعداً جمالياً خاصاً، إذ يتحول من وحدة لغوية وظيفية إلى أداة فاعلة في تشكيل الرؤية الشعرية، والإسهام في تمثيل التوترات النفسية والتحولات الوجودية والقلق الدلالي الذي يميز الخطاب الحداثي.

وينطلق هذا البحث من مقاربة صرفية تفسيرية، ويُبنى على مباحث رئيسة تتناول التعالق المورفيمي الحر، فالمبحث الأول يتناول الجذر بوصفه مورفيماًحراً تتكثف حوله الدلالة، ويأتي المبحث الثاني ليتناول ضمائر الفصل على أنها مورفيمات حرة تتعالق حولها مجموعة من المورفيمات المتعالقة بها لتبين دورها في بناء التعيين والهوية، على حين يأتي المبحث الثالث ليتناول حروف الجر بوصفها آليات لاحتواء المعنى وتوجيه العلاقات، ويليه المبحث الرابع الذي يتناول الأسماء الموصولة على أنها أدوات لتعالق الدلالة وتأجيل التعيين، وأخيراً يأتي المبحث الخامس ليتناول عالِقات الاستفهام بوصفها بؤراً لغوية تحفز على السؤال وتفتح أفق المعنى، ويسعى البحث إلى الكشف عن الطاقة الدلالية للمورفيمات الحرة في شعر أدونيس، مع الحفاظ على أصالة الطرح والاستقلال المنهجي.

- مهاد نظري: الحاجات الإنسانية الثانوية (غير القياسية) في شعر أدونيس – أسس و معطيات-

إنَّ الحديث عن الحاجات والدوافع من أكثر القضايا تعقيداً في دراسة السلوك الإنساني؛ ذلك أن محاولة ضبطها أو حصرها في قوائم محددة تصطدم بتعدد بواعث السلوك وتشابك مصادره النفسية والاجتماعية، إذ إنَّ السلوك الإنساني لا تحكمه دافعية واحدة، ولا يمكن تفسيره من خلال منبه واحد أو حاجة مفردة، بل هو نتاج شبكة معقدة من الحاجات المتباينة في طبيعتها وقوتها وطرق إشباعها، ومن هنا لجأ علماء النفس إلى تصنيف الحاجات وتقسيمها، لا على سبيل الحصر النهائي، بل بوصف ذلك إجراء منهجياً يهدف الى تسهيل دراستها والكشف عن آليات اشتغالها داخل الشخصية.

فضلاً عن اختلاف النظريات النفسية في تصنيف الحاجات الإنسانية وآليات تنظيمها، فإنها تشترك جميعاً في الإقرار بأن السلوك الإنساني لا تحكمه الحاجات البيولوجية وحدها، بل تتداخل فيه حاجات نفسية واجتماعية مركبة تتجاوز منطق الإشباع المادي المباشر، ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى الحاجات غير القياسية المعتمدة في هذه الأطروحة بوصفها امتداداً تحليلياً وتفكيكياً لتلك التصنيفات، لا خروجاً عليها.

وقد تعددت محاولات تصنيف الحاجات النفسية باختلاف المرجعيات النظرية التي انطلق منها الباحثون، فاختلاف الاهتمام بجوانب معينة من الشخصية، والتركيز على مظاهر دون غيرها من السلوك، أدى الى اختلاف واضح في عدد الحاجات المقترحة ونوعها وتنظيمها، وقد أسهم عدد من علماء النفس في هذا المجال، من بينهم موراي، وهيرلوك، وكاتل، وأريك فروم، وكول، وألدر، وميلر، وماسلو، و غيرهم إذ قدم كل منهم تصوراًخاصا لطبيعة الحاجات الإنسانية وآليات تصنيفها)عبدالقادر، 2016، (544 .p .

ويعد تصنيف موراي من أكثر التصنيفات شمولاً وتأثيراً، إذ انطلق من تحليل معمق للحاجات بوصفها قوى محركة للسلوك، وقسمها إلى حاجات أولية وحاجات ثانوية، فالحاجات الأولية ذات منشأ حشوي تتعلق بالجوانب الفيزيولوجية، وترتبط بمتطلبات الحياة الضرورية التي يشترك فيها أفراد النوع الواحد جميعها، مثل الحاجة إلى الطعام، والشراب، والتنفس، والنوم، والجنس، والصحة، وهذه الحاجات تمثل الأساس البيولوجي الذي لا غنى عنه لإستمرار الحياة)السيد، 1998، (480 p. .

أما الحاجات الثانوية، فهي ذات منشأ نفسي اجتماعي، تنشأ في سياق التفاعل مع البيئة الإجتماعية عبر مراحل النمو المختلفة، ويؤدي إشباعها إلى تحقيق الإتزان والاستقرار النفسي، وقد رأى موراي إن هذه الحاجات تلعب دوراً مركزياً في تشكيل الشخصية وتوجيه السلوك، ومن بينها الحاجة إلى التملك، والتفوق، والاستقلال، والتعاون، والسيطرة، والعدوان، والإنجاز، والإندماج، والفهم، والدفاع، وغيرها من الحاجات التي تعكس طبيعة العلاقة بين الفرد ومحيطه الإجتماعي، وقد قدم موراي خدمة علمية بارزة من خلال وضع قائمة منظمة للحاجات، ضمت ثلاث عشرة حاجة أولية، وثماني وعشرين حاجة ثانوية، أسهمت في تقديم وصف دقيق لبنية الشخصية الإنسانية، غير أن موراي لم ينظر الى هذه القائمة بوصفها نهائية، بل أكد إمكانية إضافة حاجات أخرى كلما ظهرت أنماط سلوكية لا يمكن تفسيرها في ضوء الحاجات المدرجة، وهو ما يدل على مرونة تصوره ووعيه بطبيعة السلوك المتغيرة)السيد، 1998، (481 p. .

فضلاً عن أن موراي افترض وجود تنظيم هرمي للحاجات، إلاّ أن هذا التنظيم لا يقوم على التماثل في القوة، إذ تختلف الحاجات في درجة شدتها وقدرتها على الظهور والتاثير في السلوك، فبعضها يكون أكثر بروزاً وفاعلية من غيره، وأضاف إلى ذلك إن بعض الحاجات قد تعمل بوصفها حاجات فرعية تابعة لحاجات أخرى أكثر عمومية، فالحاجة إلى التودد مثلاً قد تخدم الحاجة إلى السيطرة، وقد تكون السيطرة بدورها وسيلة لتحقيق الاستقلال، وهو ما يكشف عن تعالق معقد بين الحاجات داخل البناء النفسي للفرد)الحسني، 2021، (155 p. .

انتقالاً إلى تصنيف الحاجات عند هيرلوك، نجد أنها انطلقت في دراساتها المتعددة حول مرحلة المراهقة من قناعة أساسية مفادها، أن هذه المرحلة تمثل منعطفاً حاسماً في النمو النفسي والاجتماعي، لما تشهده من تحولات بيولوجية وإنفعالية ومعرفية متسارعة، وقد رأت أن فهم سلوك المراهق لا يتحقق إلا من خلال الوقوف على حاجاته الرئيسة، التي تشكل المنطلق الحقيقي لدوافعه واتجاهاته وتفاعلاته مع ذاته ومحيطه، وعلى هذا الأساس صنفت هيرلوك حاجات المراهق إلى ثلاث فئات رئيسة متمايزة في طبيعتها، ومتكاملة في أثرها في بناء الشخصية.

تتمثل الفئة الأولى في الحاجات العضوية، وهي الحاجات ذات الطابع البيولوجي التي تعد شرطاً ضرورياً لاستمرار الحياة البشرية، وتشمل الحاجة إلى الطعام والماء، والحاجة إلى الراحة، والحاجة إلى الجنس، وهي حاجات لا يمكن تجاهلها أو تأجيل إشباعها دون أن يترتب على ذلك اضطراب في التوازن الجسدي والنفسي للمراهق، أما الفئة الثانية فهي الحاجات النفسية، وترتبط بالبعد الداخلي للشخصية وبخبرة المراهق الذاتية، وتتمثل في الحاجة إلى الشعور بالأمن النفسي، والحاجة إلى الاستقلالية، والحاجة إلى التحصيل وتحقيق الإنجاز، ويؤدي إشباع هذه الحاجات دوراً أساساً في تعزيز الثقة بالذات، وتنمية الشعور بالكفاءة، وتكوين هوية نفسية مستقرة قادرة على مواجهة متطلبات الواقع)عبدالقادر، 2016، (546-547 pp. .

وتأتي الفئة الثالثة متمثلة في الحاجات الاجتماعية، التي تنشأ من تفاعل المراهق مع محيطه الأسري والاجتماعي، ومن أهمها الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى العطف والحب، والحاجة إلى المكانة الاجتماعية،

وتعد هذه الحاجات ضرورية لبناء علاقات متوازنة، ولتحقيق شعور القبول الاجتماعي، الذي يشكل أحد المرتكزات الرئيسة للصحة النفسية في هذه المرحلة العمرية)عبدالقادر، 2016، (546 p. .

وإلى جانب تصنيف هيرلوك، قدم عدد من الباحثين النفسيين والاجتماعيين تصورات مكملة لحاجات المراهقين، من بينهم زيدان عبد الباقي، وكلير فهيم، وأحمد عزت راجح، ومحمد خليفة بركات، ومنصور حسين. وقد ركزت هذه التصورات على حاجات تتصل بمكانة المراهق داخل الجماعة، وبسعيه إلى إثبات ذاته وتحقيق استقلاله.

فمن أبرز هذه الحاجات الحاجة إلى المركز والقبول الاجتماعي، وهي حاجة مركبة تتطلب الشعور بالأمن والانتماء والاحترام، والتحرر من الإحباط والتهديد، فضلا عن المعاملة الحسنة والتدريب على تحمل المسؤولية. كما تظهر الرغبة في الاستقلال والتحرر من الأسرة من خلال سعي المراهق إلى توسيع دائرة علاقاته الاجتماعية خارج إطار الأسرة، ومحاولته إرغام الكبار على الاعتراف بنضجه وقدرته على اتخاذ القرار، وهو ما يستدعي من الأولياء الابتعاد عن القسوة والعنف، ومعاملته بوصفه شخصا له رأي في الحياة)سالم، 2006، (145 p. .

وفي نظرية بورتر، يتضح الانتقال الواضح من الحاجات الفسيولوجية إلى حاجات أكثر تعقيداً، مثل الأمن، والانتساب، وتقدير الذات، والاستقلال، وتحقيق الذات، وهذه الحاجات تتقاطع بصورة مباشرة مع عدد من الحاجات غير القياسية، ولا سيما الاعتزاز بالذات عبر الإحساس بالأهمية والكفاءة والقوة، إذ إن تركيز بورتر على الاستقلال والمشاركة في اتخاذ القرار يؤسس نفسياً لفكرة الاستقلال بوصفه حاجة وجودية لا مجرد مطلب اجتماعي)هاني، 1993، (47 p. .

أما ماكيليلاند، وأتكينسون فقدما تصنيفاً للحاجات الإنسانية يقوم على ثلاث فئات رئيسة، تتمثل الفئة الأولى في الحاجة إلى الإنجاز، وتعبر عن الجهد الذي يبذله الفرد من أجل أداء عمله على نحو أفضل وأكثر كفاءة، أما الفئة الثانية فهي الحاجة إلى النفوذ، وتشير إلى سعي الفرد نحو السلطة والتأثير والسيطرة على الآخرين، على حين تتمثل الفئة الثالثة في الحاجة إلى الانتماء، وتظهر لدى الأفراد الذين يوجهون وقتهم وجهدهم نحو إقامة علاقات اجتماعية طيبة ومستقرة مع الآخرين)أبو عابد، 1997، (43 p. .

وقد اقترح ألدرفر تصوراً معدلاً للتنظيم الهرمي للحاجات، عرف في الأدبيات التربوية الغربية بنظرية (ERG)، التي تقوم على ثلاث مجموعات رئيسة، تتمثل المجموعة الأولى في حاجات الكينونة، وتشمل الحاجات البيولوجية الأساسية والحاجة إلى الأمن، أما المجموعة الثانية فهي حاجات الانتماء، وتتعلق بالتواصل وبناء العلاقات الاجتماعية القائمة على المحبة والتقدير، في حين تركز المجموعة الثالثة على حاجات النماء، التي تعبر عن النزوع الجوهري للفرد نحو التطور الذاتي وتحقيق الذات)أبو عابد، 1997، (70 p. .

صنف بوتني وبوتني الحاجات الإنسانية الأساسية إلى حاجات مادية وأخرى نفسية، فالحاجات المادية تشمل تلك التي يعد إشباعها ضروريا لاستمرار الحياة، مثل الأوكسجين والماء والطعام، إضافة إلى الحاجات ذات الأساس البيولوجي المرتبطة بالأنشطة العضلية والجنسية والعقلية، أما الحاجات النفسية، فيراها الباحثان متداخلة ومترابطة ترابطاً وثيقاً، ولها ثلاثة أوجه رئيسة، هي الحاجة إلى صورة ذاتية صحيحة ومقبولة، والحاجة إلى الامتداد الاجتماعي عبر الارتباط بالآخرين في علاقات تفاعلية تولد الإحساس بالانتماء، وهي ما سماه روجرز بالذات الاجتماعية، إضافة إلى الحاجة إلى اكتشاف القدرات والقابليات العقلية والتعبير عنها في مختلف الفعاليات)الطويبي، 1992، (141 p. .

يركز كوبرسميث في تصنيفه على العوامل المؤثرة في الاعتزاز بالذات، ويرى أن احترام الفرد لذاته وشعوره بالأهمية والكفاءة والقوة يمثل بعدا مركزيا في شخصيته. ويتمثل الشعور بالأهمية في إدراك الفرد لقيمته من خلال تفاعله مع الآخرين داخل محيطه الاجتماعي، بينما يشير الشعور بالكفاءة إلى الأداء السليم للواجبات الاجتماعية بما يتناسب مع المرحلة العمرية. أما الشعور بالقوة فيتمثل في إحساس الفرد بقدرته على التأثير في الآخرين والمشاركة الفاعلة في اتخاذ القرارات)الطويبي، 1992، p. 81) .

و بعد استعراض للنظريات النفسية للحاجات الإنسانية التي تناولها منظرون غير ماسلو، تم اختيار هذه الحاجات تحديداً بالاستناد إلى مدى ورودها الفعلي في شعر أدونيس، وما تحمله من تمثلات نفسية ودلالية تبرز بوضوح في نسيجه الشعري، وقد أظهرت القراءة التحليلية للنصوص أن الخطاب لدى أدونيس ينهض على حاجات إنسانية غير قياسية، من أبرزها تنمية الذات عن طريق الارتباط بالآخرين، والشعور بالكرامة والتكامل، والاعتزاز بالذات عبر الإحساس بالأهمية والكفاءة والقوة، إلى جانب الحاجة إلى القبول الاجتماعي، وتحقيق الاتزان الانفعالي والتكيف النفسي السليم، وتحقيق الاستقلال العاطفي، وفهم الحقوق والواجبات، وتنمية الشعور بالمسؤولية، فضلا عن تنمية المهارات والاتجاهات.

وانطلاقا من هذا الأساس، تم اعتماد هذه الحاجات في الأطروحة بوصفها إطاراً تحليلياً مغايراً للتصنيفات القياسية -عند ماسلو- ، وأُطلق عليها مصطلح الحاجات غير القياسية، لكونها منبثقة من خصوصية التجربة الشعرية عند أدونيس، ومعبرة عن رؤية إنسانية ونفسية لا تنضوي كلياً ضمن الحاجات النفسية القياسية التي ظهرت عند ماسلو، بل تعيد تشكيل مفهوم الحاجة بما ينسجم مع البنية الشعرية وتحولاتها الدلالية.

إنَّ دراسة التعالق المورفيمي الحر (Free Morpheme) في البنى الصرفية الدالة على الحاجات الإنسانية غير القياسية (الثانوية) في شعر أدونيس، تنبني على مقاربة صرفية دلالية تنطلق من حاجات نفسية وردت عند منظرين غير ماسلو، وتقوم هذه المقاربة على تتبع حضور تلك الحاجات في النص الشعري، وبيان آليات تشكلها لغوياً عبر المورفيمات الحرة، كما تُبرز دور التعالق المورفيمي في وصل البنية الصرفية بالبعد النفسي للنص، بوصفه مساراً دلالياً تنتهي إلى أن المورفيم الحر يؤدي وظيفة مركزية في بناء الدلالة على الحاجة، وتكثيفها داخل الخطاب الشعري لدى أدونيس.

المبحث الأول: عالقات جذر الصيغة الصرفية:

سبق وأن تمت الإشارة في الفصل الأول إلى المورفيم الحر المتمثل بالجذر بوصفه عنصراً صرفياً يتمتع بطاقة دلالية مستقلة، وقابلية اشتقاقية عالية، ويعاد توظيف هذا المفهوم في هذا السياق التطبيقي للكشف عن آليات التعالق المورفيمي الحر في شعر أدونيس، وذلك في البنى الصرفية التي تتضمن حاجات إنسانية غير قياسية، إذ يغدو الجذر بؤرة دلالية تتجمع حولها المورفيمات المتعالقة، فتسهم في تشكيل الدلالة النفسية للحاجة داخل النص الشعري، بما يعكس خصوصية التجربة لدى أدونيس في تمثل هذه الحاجات وصياغتها لغويا، ونجد صدى لذلك في قوله)أدونيس، 2005، pp. 40-41) :

كلّ شيءٍ يقولُ: ودَاعاً

لِمدائنِ أيّامِنا

لدفاترِ أطفالها

لمحابرِ أقلامِهِمْ

لأقلامهم

لِلأسرّةِ مَفروشةً بأحلامهم.

مَا لِوَجْهِ الحَجرْ

بين زيتونِنا وشُطآنِهِ،

يَتَغضّنُ؟ ماذا؟

كَبدُ الأبْجديةِ مَقروحَة؟

أمْ أزاميلُها

تَتَكسّرُ مَنبوذَة؟

صَوْتُ ناي بَعيدٍ

يَتَصاعَدُ مِن جُرحِنا

عَبَقا ضائِعاً في ثيابِ الشّجَرْ.

تقوم هذه المقطوعة على بنية شعورية كثيفة، يتقاطع فيها الفقد الجماعي مع الوعي الجارح بالذات والتاريخ، ويغدو الجذر مورفيماً حراً بؤرياً تتعالق حوله المورفيمات المتعالقة لتشكيل الدلالة النفسية للحاجات غير القياسية، ويعد الجذر (ج، ر ،ح)، بؤرة مورفيمية مركزية في هذا السياق، لكونه يتكرر صراحةً أو متحولاً دلالياً، ويستوعب شبكة واسعة من العلامات الصرفية والصورية)الزمخشري، 2001، (98 .p.

ففي قوله :(صوت ناي بعيد / يتصاعد من جرحنا)، يتحول الجرح من دلالة الجرح في الجسد مباشرة إلى علامة نفسية جمعية، تختزن الإحساس بالانكسار والخذلان، وتتعالق معه مورفيمات أخرى مثل: (يتصاعد، بعيد، ضائعاً)، وهي صيغ تشير إلى الحركة غير المكتملة، وبالصوت الذي يحاول أن يوجد ذاته من داخل الألم، هنا تبرز حاجة الاتزان الانفعالي والتكيف النفسي السليم بوضوح، لا بوصفها حالة متحققة، بل باعتبارها حاجة مأزومة، تسعى الذات الجماعية إلى استعادتها عبر الصوت، وعبر الفعل الرمزي، وبهذا أطلق أدونيس صراح أبنية الكلمات، إذ بها حرّة طليقة تسبح في فضاء دلالي مكثف بالايحاءات والدلالات اللامحدودة، وشحنها بمعانٍ جديدة)أدونيس، 1979، (125-124 .pp.

ويتسع التعالق المورفيمي للجذر البؤري ليشمل ألفاظاً مثل (وداعاً، منبوذة، تتكسر، مقروحة)، وهي مورفيمات متعالقة تؤدي وظيفة التفريع الدلالي للجذر، إذ تنقل الجرح من كونه حالة داخلية إلى كونه مصيراً عاماً يخيم على المدائن، والأطفال، والأبجدية ذاتها، وبهذا يتحول الجذر الحر إلى مركز تنتظم حوله دلالات (الفقد، والانقطاع، والتشظي)، بما يعكس حاجة الشعور بالكرامة والتكامل بوصفها حاجة منتهكة، تُستحضر

عبر صور الانكسار لا عبر خطاب مباشر، وبذلك فهو فتح دروباً إلى العالم الخفي وراء العالم الظاهر، وأتاح للفرد التخلص من العوائق، بتمدده في ذلك العالم)تاوريريت، 2009، (43 p. .

وفي استدعاء الأبجدية بوصفها كائنا مجروحاً (كبد الأبجدية مقروحة)، يتعمق التعالق المورفيمي، إذ يُحمّل الجذر دلالة ثقافية ومعرفية، ليشير إلى جرح الهوية واللغة والمعنى، وهنا تظهر حاجة الاعتزاز بالذات عبر الإحساس بالأهمية والكفاءة، ولكنها تظهر في صيغة فقدانها، إذ لم تعد الأبجدية قادرة على الفعل، بل صارت أزاميلها تتكسر منبوذة، هذا الانكسار اللغوي هو في جوهره انكسار للذات الجماعية، وحاجتها إلى استعادة فاعليتها وقيمتها، وبذلك فهو انتشل جذور الكلمات من الغدير الذي غرقت فيه، ونسلها جذراً جذراً من نسيجها القديم، وخيطها في نسيج جديد، إلى أن صارت الجذور تحمل دلالات جديدة لا عهد لنا بها)أدونيس، 1978، (163 p. .

كما أن توزيع الجذر البؤري داخل ضمير الجمع في (جرحنا) المتمثل بـ (نا) المتكلمين، يربطه بحاجة الارتباط بالآخرين وتنمية الذات عبر الجماعة، إذ لا يُقدَّم الألم فردياً، بل بوصفه تجربة مشتركة، تتقاسمها الذات مع محيطها، ومع الطبيعة (ثياب الشجر)، وبذلك لا يعود الجذر مجرد وحدة صرفية، بل يصبح نواة دلالية تنقل التجربة من الخصوص إلى العموم، ومن الفردي إلى الجماعي)أدونيس، 1989، (27 /3 p. .

إذ إن التعالق المورفيمي الحر، المتمثل بالجذر في هذه الأبيات، لا يعمل على مستوى الصيغة وحدها، بل يتجاوزها إلى بناء أفق نفسي تتداخل فيه الحاجات غير القياسية: الاتزان الانفعالي، الكرامة، الاعتزاز بالذات، والارتباط بالآخرين، وبهذا ينجح شعر أدونيس في تحويل الجذر إلى بؤرة دلالية حية، تتكثف حولها المورفيمات المتعالقة لتشكيل رؤية شعرية تُعبّر عن حاجة الإنسان إلى المعنى في لحظة جرحٍ مفتوح.

المبحث الثاني: عالقات الضمائر المنفصلة:

وفي شأن الضمائر المنفصلة التي تؤدي دور مورفيم البؤرة في شعر أدونيس، وذلك في المقاطع الشعرية التي تبرز فيها الحاجات الإنسانية غير القياسية،فإنّ حضورها بوصفه حضوراً دلالياً فاعلاً لا يقف عند حدود الإحالة النحوية، بل تتحول هذه الضمائر إلى مراكز وعي شعري تتكثف حولها التجربة الذاتية للشاعر، وتُستثمر في تمثيل علاقة الذات بالآخر وبالعالم، ومن خلال هذا التمركز اللغوي تظهر حاجات مثل الاعتزاز بالذات، والاستقلال العاطفي، والشعور بالكرامة والتكامل، ليغدو الضمير المنفصل عنصراً بؤريا يسهم في تفعيل التعالق المورفيمي، ويصل البنية الصرفية بالبعد النفسي والدلالي في الخطاب الشعري عند أدونيس، ونجد صدى ذلك في قوله)أدونيس، 2008 أ، (125 p. :

علّمني الأفقُ آدابَ الغيم

غير أنّني رأيتُ أمسِ،

غيمةً تُغطّي وَجهه،

دون أن تعتذر له.

هُنا، حيثُ أسكنُ في هذه الآونة،

يطول كثيراً جلوسُ الغيم على عرش الوقت.

غير أنّه يبدو سيداً و غريباً، يُهيمن ولا يتحدث إلاّ مع آتٍ يجهل مَنْ هو وما هو.

تنبني هذه الأبيات على نبرة تأملية يخفي توتراً دلالياً عميقاً، يتمركز حول الضمير المنفصل (هو) بوصفه مورفيم البؤرة الذي تتشكل عبره شبكة المعاني النفسية، فهذا الضمير جاء مستقلاً لا يحيل إلى مرجع محدد بقدر ما يفتح فضاء رمزياً واسعاً، تتقاطع فيه السلطة والغياب والصمت، وتُسقَط عليه خبرة الذات في علاقتها بما يعلوها ويهيمن عليها)الطائي، 2013، (147 .p .

في قوله :(غيمةً تغطي وجهه، دون أن تعتذر له)، يتكثف حضور الضمير في صيغة الإخفاء لا الظهور، فالوجه المغطى يوحي بغياب الاعتراف، وبعلاقة غير متكافئة تُنتَهك فيها كرامة المخاطَب من غير مساءلة، وتتعالق مع الضمير مورفيمات متعالقة فعلية مثل (تغطي، هنا أسكن)، فتؤسس صورة نفسية تمس حاجة الشعور بالكرامة والتكامل بوصفها حاجة مهددة، لا تُنتهك بالفعل الصريح بل بالإهمال والصمت، وبذلك تؤدي عالقة الضمير المنفصل إلى توسع مفهوم الإبداع لدى الشاعر، وهي محاولة للخروج من السابق بمعانيه المختلفة، وإعادة كتابة الوجود برؤيا تتخطى المألوف والمتوقع)حفيظ، 2015، (22 .p.

ويتسع مجال التعالق المورفيمي في قوله :(يطول كثيراً جلوس الغيم على عرش الوقت)، حيث يُسند الزمن نفسه إلى هيئة سلطة ساكنة، فالضمير (هو) يظل حاضراً بوصفه مرجعاً ضمنياً لهذا التسيّد، وتتصل به مورفيمات متعالقة مثل (يطول، وعرش، والوقت)، بما يحول السيطرة إلى حالة ممتدة، لا حدثا عابراً، وهنا تظهر حاجة الاتزان الانفعالي والتكيف النفسي السليم في صورة انتظار ثقيل يشير إلى التعب، يعلق فيه الوعي بين الإقامة القسرية واللايقين، وفي ذلك تأكيد على دوام السعي على أن يكون غير ذاته، وغير الآخرين، وكأنه يقول: لكي تظل موجوداً باستمرار لابد لك من أن تتجاوز نفسك وغيرك باستمرار؛ فالتجاوز مبدأ من مبادئ الحداثة)أدونيس، 1978، (82 .p.

أما قوله :(غير أنه يبدو سيداً وغريبا، يهيمن ولا يتحدث)، فيكشف عن مفارقة دقيقة؛ إذ يجمع الضمير البؤري بين السيادة والغرابة، وبين الهيمنة والصمت، وتتعالق حوله مورفيمات متعالقة تصوغ صورة سلطة لا تتواصل، ولا تعترف، ولا تدخل في حوار إلا مع (آتٍ يجهل من هو وما هو)، وهنا تبرز حاجة القبول الاجتماعي بوصفها حاجة معطلة، كما تتصل بها حاجة فهم الحقوق والواجبات، إذ تنفصل القوة عن المسؤولية، والهيمنة عن المعنى .

بهذا المعنى، يتحول الضمير المنفصل (هو)، من أداة إحالة لغوية إلى بؤرة دلالية تجتمع حولها المورفيمات المتعالقة، لتبني أفقاً نفسياً يعكس قلق الذات، وشعورها بالاغتراب أمام سلطة صامتة، لا تُرى بوضوح ولا تُسأل، ومن خلال هذا البناء، ينجح شعر أدونيس في جعل المورفيم البؤري وسيطاً دقيقاً لتمثيل الحاجات الإنسانية غير القياسية، إذ تبرز الحاجة إلى الكرامة، والاتزان، والاعتراف، لا بوصفها مطالب معلنة، بل بوصفها فراغات دلالية يتركها الصمت في قلب النص الشعري، فالضمير المنفصل لا ينهض بوظيفة إحالية محايدة، بل يتجاوزها ليغدو آلية توليد نفسي–دلالي فاعلة، تتحول من خلالها البنية الصرفية إلى وسط تعبيري يمثل الحاجات الإنسانية غير القياسية في شعر أدونيس؛ إذ تُستثمر مناطق الصمت والغياب بوصفها فضاءات دلالية بديلة، تُفصح عن الحاجة من خلال ما يُحجَب لا ما يُصرَّح به، وتُستدعى الكرامة والاعتراف عبر الإيحاء والتواري، لا عبر القول المباشر، والخطاطة التالية تبين ذلك:

مورفيم البؤرة

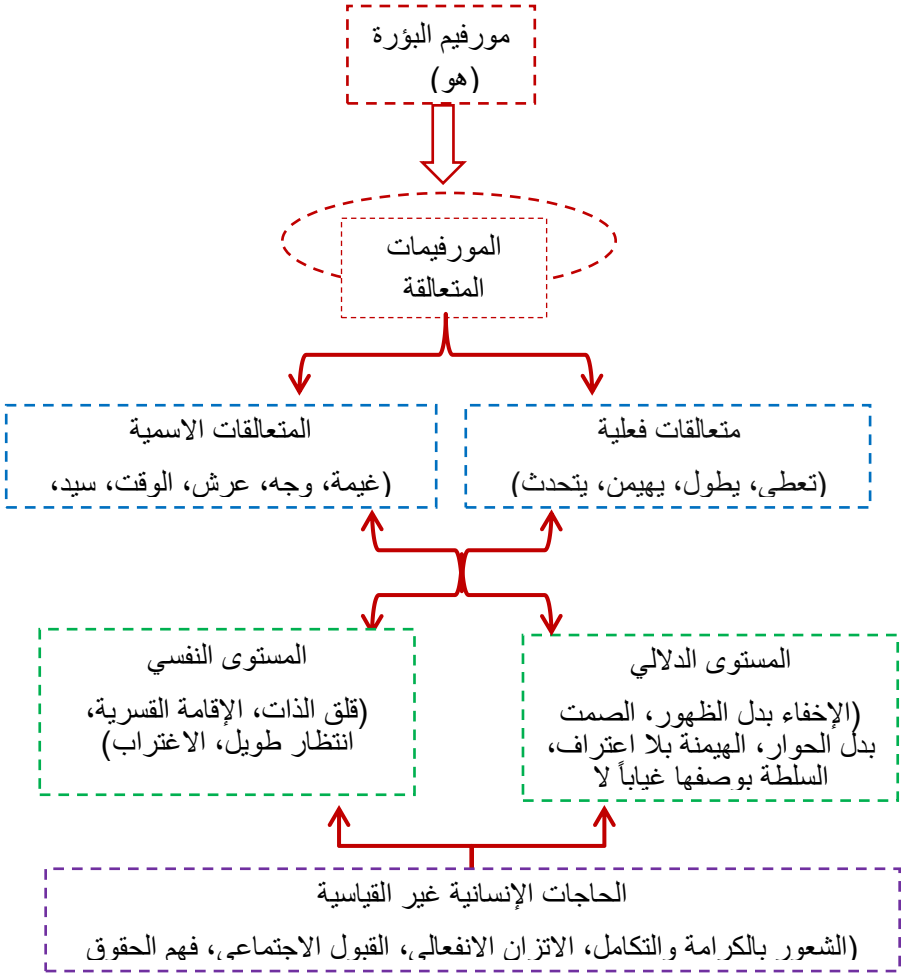

الخطاطة (1) تبين لتعالق المورفيمى للضمير المنفصل بوصفه آلية توليد نفسى–دلالى للحاجات الإنسانية غير

وقد أنجز أدونيس في مقطوعاته الشعرية تمثيلاً رفيعاً للحاجات غير القياسية، وذلك من خلال الضمائر المنفصلة الدالة على التأنيث (هي)، وتتعالق حول هذا الضمير المنفصل مجموعة من العالقات المورفيمية الحرة والبؤر العضدية ليعيد من خلالها معاني المفردات، فنجده يعيد صياغة مفهوم الحبِّ و القرب في قوله)أدونيس، 2008 ب، (129 .p :

هل تريد أن تعرف

كم هي قريبةٌ إليك، أيّها الحبّ؟

إذاً، نادِها من بعيد

ودون أن تراها

يقوم هذا المقطع الشعري على بناء دلالي يتكئ بوضوح على الضمير المنفصل الظاهر (هي) بوصفه بؤرة مورفيمية حرة تتجمع حولها معاني النص و مقاصدها، دون الالتفات إلى الإحالات الضمنية أو المستترة، بحيث يصير هذا الضمير مركز الدلالة الصرفية، الذي تُعاد من خلاله صياغة مفهوم القرب والحب.

فالضمير المنفصل (هي) يَرِد ظاهراً مباشراً، مستقلًا في بنيته، غير مندمج في فعل أو اسم، وهو ما يمنحه قابلية عالية لحمل الدلالة و توجيهها، هذا الاستقلال الصرفي يجعل من الضمير كياناً قائماً بذاته، لا يحده مرجع اسمي معين، بل يظل مفتوحاً على التعدد، الأمر الذي يحوله من أداة إحالة إلى فضاء رمزي تُسقَط عليه خبرة الحب بوصفها علاقة قائمة على التوق والاقتراب دون امتلاك، وهذا الفضاء الرمزي يمنح الشاعر لقب رائد الترميز، إذ إنه لغم نصوصه الشعرية بمجموعة من الرموز والدلالات المتعددة، لايمكن أن تستوعب مضموناتها كاملة إلاّ الذات المبدعة التي مارست مداعبة اللغة، و ركزت على مساءلة مكنوناتها الأصيلة)فيدوج، 1994، (70 p. .

وتتعالق حول هذا الضمير الظاهر مجموعة من المورفيمات الحرة المتجاورة التي تسهم في توجيه دلالته النفسية، من أبرزها أفعال الخطاب والإرشاد (هل تريد أن تعرف، نادِها)، حيث تُبقي الضمير في موقع المفعول به، لا الفاعل، بما يعكس وضعية وجدانية قائمة على التوجه نحو الآخر لا السيطرة عليه، كما تتعالق معه مورفيمات نفي الرؤية ومنها (دون أن تراها)، فتُعاد صياغة العلاقة على أساس الغياب الواعي، الذي لا يدل على انعدام الحضور، بل على حضور من نوع آخر؛ حضور رمزي أو نفسي يتحقق من خلال الامتناع عن الرؤية أو التملك، فالذات تدرك قرب الآخر، لكنها تؤثر عدم اختراق هذا القرب حسياً، حفاظاً على التوازن والكرامة والمعنى، وفي هذا تأكيد على أن اللغة عند أدونيسخالقة بدل أن تكون مخلوقة لخدمة المعنى)أدونيس، 1989، (267 p. .

وفي هذا السياق الشعري، تنهض البنية الإنشائية بوصفها بؤرة عضدية تدعم الضمير الظاهر وتعمق دلالته، إذ تجعل من (هي) نقطة التقاء بين الأمر والنهي، وبين النداء والامتناع عن الرؤية، وهذا التداخل لا يُنتج اضطراباً لغوياً فحسب، بل يُشيّد حالة نفسية دقيقة، يُعاد فيها تعريف القرب بوصفه خبراً معنوياً خالصاً، لا علاقة له بالتماس المباشر، على نحو يثير السؤال والتأمل)الإمام، 2010، (324 p. .

وعلى المستوى النفسي، يعبر حضور الضمير المنفصل الظاهر عن مجموعة من الحاجات الإنسانية غير القياسية، في مقدمتها حاجة الاستقلال العاطفي، إذ يحافظ على إنسانية الآخر، وتُفصل العلاقة عن الامتلاك، كما تظهر حاجة الاتزان الانفعالي من خلال ضبط الرغبة والتحكم في الذات وعدم الخضوع للرغبات، فضلاً عن حاجة الشعور بالكرامة الوجدانية التي تتجسد في احترام المسافة وعدم اختراق الحضور الرمزي للآخر)الطويبي، 1992، (89 p. .

وبذلك، يتحول الضمير المنفصل الظاهر(هي)، من وحدة صرفية مستقلة إلى بؤرة توليد نفسي–دلالي، تتعالق حولها المورفيمات الحرة والبؤرة العضدية لتشكل خطاباً شعرياً يُعيد تعريف الحب بوصفه حالة فهم وتأمل ومسؤولية، لا اندفاعاً غرائزياً، فضلاً عن تخطي الرغبة المباشرة وحدود الذات الضيقة نحو أفق إنساني أرحب، ويجعل من البنية الصرفية أداة دقيقة لتمثيل الحاجات الإنسانية غير القياسية في النص.

المبحث الثالث: عالقات حروف الجر:

تمثل حروف الجر في شعر أدونيس مورفيمات بؤرية فاعلة، يتجاوز حضورها الوظيفة النحوية التقليدية إلى أداء دور دلالي ونفسي عميق، ففي النصوص التي تتضمن الحاجات الإنسانية غير القياسية، تسهم هذه

الحروف في تحديد مسار العلاقة بين الذات ومحيطها، وتضبط اتجاه الفعل من الداخل إلى الخارج أو بالعكس، ومن خلال هذا التوجيه الدلالي تظهر حاجات مثل القبول الاجتماعي، والاستقلال العاطفي، وتنمية الشعور بالمسؤولية، لتغدو حروف الجر عناصر محورية في تفعيل التعالق المورفيمي، وربط البنية الصرفية بالبعد النفسي والدلالي في الخطاب الشعري عند أدونيس، ففي قوله)أدونيس، 2010، (p. 58 :

خذني إليكَ يا جذرَ السَّوسن، واسطعْ **في** خلاياي.

اللاّنهاية تستيقظُ **في** تَداخلٍ ضوئيٍّ مع الأنوثة، وتستبطن جسدي.

أعطني أيّها الصلصالُ، يا ترابَنا الحيَّ، أن أُبَسْتِنَ المسافات،

وأن أخالطَ عنّابَ السّرائر.

الحضورُ فيك فاتحة البصَر،

والغيبُ نرجسُ البصيرة.

تنهض هذه المقطوعة الشعرية على بنية لغوية–تصويرية عالية الكثافة، يتداخل فيها الحسي بالميتافيزيقي، ويُعاد فيها تشكيل العلاقة بين الذات والآخر عبر حرف الجر (في) بوصفه مورفيم البؤرة الذي تُدار من خلاله شبكة التعالق الصرفي–الدلالي، وتُستثمر عبره الحاجات الإنسانية في بعدها غير القياسي)البوعمراني، 2006، (p. 96 .

فحرف الجر (في) لا يَرِد هنا بوظيفته المكانية البسيطة، بل يتجاوزها ليؤدي دوراً بنيوياً مركزياً، إذ يتحول من أداة ربط نحوي إلى آلية احتواء دلالي ونفسي، تُعيد تعريف الوجود بوصفه على أنه حضور داخلي، لا تماس خارجي، ويظهر ذلك بوضوح في قوله :(اسطعْ في خلاياي)، إذ تُلغى المسافة بين الضوء والذات، ويُعاد بناء العلاقة على أساس النفاذ إلى العمق لا الإشراق من الخارج، فيغدو (في) دالاً على التغلغل والامتلاك الوجودي للذات، لا على الظرفية المحايدة.

ويتسع مجال هذا التعالق في قوله :(اللانهاية تستيقظ في تداخل ضوئي مع الأنوثة، وتستبطن جسدي)، إذ يؤسس حرف الجر هنا فضاء مركباً تتداخل فيه المجردات (اللانهاية) مع المحسوس (الجسد)، فيتحول (في) إلى مورفيم وسيط يتيح عبور الدلالة من المعنى العام إلى تجسده في الاحساس، ومن معنى غير محدد إلى معنى مخصوص، وبهذا التعالق، يُعاد تعريف الجسد لا بوصفه وعاءً مادياً، بل بوصفه حقلاً دلالياً قابلاً لاستقبال المطلق، وهو ما يعكس حاجة تنمية الذات عبر الارتباط بالآخر/المطلق، بوصفها حاجة غير قياسية تتجاوز التصنيفات النفسية الكلاسيكية)الطويل، 1986، (p. 184 .

ويبلغ حرف الجر (في) ذروة فعاليته الدلالية في قوله :(الحضور فيك فاتحة البصر)، إذ تنتقل الظرفية من المكان إلى الكينونة؛ فـ(فيك) لا تحيل إلى احتواء مكاني، بل إلى اندراج وجودي، تصبح فيه الذات مشروطة بالآخر، ويغدو الحضور كشفاً معرفياً، لا تحققاً حسياً، ويقابل ذلك قوله :(والغيب نرجس البصيرة)، حيث يُستثمر الغياب لا بوصفه نقصاً، بل بوصفه مصدراً للرؤية الداخلية، في توازن دقيق بين (في) الحضور و(نرجس) الغيب، بما يعمق البعد التأملي للنص)الحمداني، 2004، (p. 164 .

وعلى المستوى النفسي، يُنتج هذا الاستخدام المكثف لحرف الجر (في) مجموعة من الحاجات الإنسانية غير القياسية، أبرزها:

- الحاجة إلى تنمية الذات عن طريق الارتباط بالآخرين.

- الحاجة إلى تحقيق الاتزان الانفعالي والتكيف النفسي السليم، المتحققة عبر تحويل التوتر بين الحضور والغياب إلى علاقة تكامل لا صراع.

- الحاجة إلى تنمية المهارات والاتجاهات، إذ لا يتحقق الوجود إلا داخل الآخر لا بمحاذاته.

وبذلك يتحول حرف الجر (في)، من عنصر نحوي ثانوي إلى مورفيم بؤري يسهم في بناء الدلالة، تتعالق حوله الأفعال والصور والمجردات، ليُعاد عبره بناء الجسد، والرؤية، والحضور، والغيب، في أفق شعري يجعل من البنية الصرفية أداة دقيقة لتمثيل التجربة النفسية العميقة، حيث لا يكون الوجود إلا في الآخر، ولا تتحقق الرؤية إلا عبر الاندماج، لا الانفصال، والخطاطة التالية توضح ذلك:

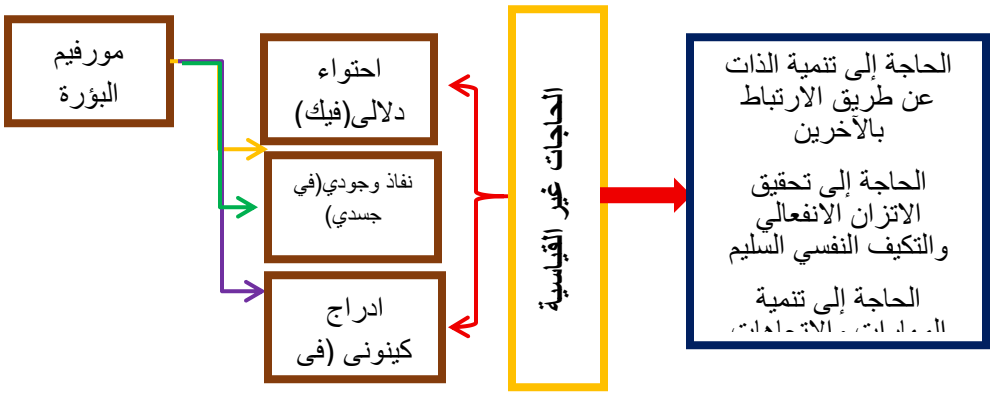

الخطاطة (2) تبين دور حرف الجر (في) كمورفيم بؤري

المبحث الرابع: عالقات

إن الأسماء الموصولة، بوصفها مورفيمات بؤرية في شعر أدونيس، لا تنهض بوظيفة إحالية محايدة، بل تتحول إلى آلية لغوية لتكثيف التجربة النفسية وبناء الفعل الوجودي على مستوى الوعي لا الحدث، فهي لا تُحيل إلى فاعل مُنجَز أو معنى مكتمل، بل تؤسس فضاء دلالياً معلقاً، يُؤجَّل فيه التعيين، وتُستدرج فيه الذات إلى حالة ترقب وانفتاح على التحول، والموصول في الأصل اسم مفعول من وصل الشيء بغيره، إذا جعله من تمامه؛ وسميت بذلك لاتصالها بالكلام بعدها من تمام معناها، وتكون ناقصة الدلالة لايتضح معناها إلاّ إذا وصلت بالصلة)السامرائي، 2011، (112 /1 .p .

ويغدو الاسم الموصول، في هذا السياق الشعري لدى أدونيس، أداةً لتمثيل الانبعاث النفسي لا بوصفه بداية زمنية للفعل، بل باعتباره لحظة وعي تسبق التحقق، حيث يتشكل المعنى في منطقة بينية تفصل بين السكون والفعل، ومن خلال هذا التعالق للدلالات، تنتقل التجربة من الثبات إلى الحركة، ومن الامتلاء الدلالي إلى البحث عنه، بما يجعل الاسم الموصول بؤرةً لتنشيط التعالق المورفيمي بين البنية الصرفية والأفق النفسي للنصوص الشعرية ، وللتعريف باسم الموصول أغراض منها: عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به،

والإبهام، والاستهجان بالتصريح، والتعظيم، والتحقير، والتعريض، والاختصار، و إرادة العموم، و إرادة واحد من الجنس أي الافتراض في شأن أحدهم)الزجاجي، 1959، (36 /1 .p .

وفي شعر أدونيس يكشف الاستخدام لهذه الأسماء التي هي مورفيمات حرة عن حضور حاجات إنسانية غير قياسية، في مقدمتها حاجة تنمية الذات عبر الفعل المؤجَّل لا المنجز، وحاجة الشعور بالكفاءة والقوة المتولدة من قدرة الذات على انتظار المعنى وبنائه، فضلاً عن حاجة تحمل المسؤولية الوجودية، إذ تُلقى على عاتق الذات مهمة استكمال الدلالة وربط أجزائها، وهكذا لا تعمل الأسماء الموصولة على مستوى التركيب فحسب، بل تتحول إلى بنى نفسية–دلالية تُسهم في تشكيل الوعي الشعري، وتُعيد صياغة الدلالات بوصفها مساراً داخلياً، لا مجرد تحقق خارجي، ومعنى ظاهر، ففي قوله)أدونيس، 1988 ب، (30 .p:

قل: صباح الخير لطريقك

إن شئت

أن ترافقك الشمس.

اللهب **الذي** يقودني أتمرّد عليه

اللهب **الذي** أقوده يتمرّد عليّ.

أفتح للنسيان بحيرة

وأغرقُ فيها تاريخي.

فات الوقت

لكي تكون نفسك، لكي تعرف من أنت،

فاتتك الطفولة.

إذ نجد أن المقطوعة الشعرية تستند إلى بنية لغوية تقوم على تفكيك العلاقة بين الذات و معنى النص، وإعادة بنائها عبر آليات التعالق المورفيمي ، وتتجسد بوضوح في حضور الاسم الموصول (الذي) بوصفه مورفيماً بؤرياً لا يكتفي بالربط النحوي، بل يؤدي وظيفة نفسية–وجودية عميقة.

ففي قوله: (اللهبُ الذي يقودني أتمرّد عليه / اللهبُ الذي أقوده يتمرّد عليّ)، لا يأتي الاسم الموصول (الذي) مجرد أداة وصل بين الاسم وصلته، بل يتحول إلى فضاء دلالي متعالق، يجعل العلاقة بين الذات وموضوعها تظل في حالة من التوتر الدائم، فـ(الذي) لا يُنجز المعنى، بل يؤجله، ويجعل الفعل (يقودني/أقوده) مفتوحاً على احتمالات متضادة، مما تُنتج جدل السيطرة والانفلات، والقيادة والتمرد، فضلاً عن أنه وضع تولاً إلى وصف المعارف في السياقات المختلفة)ابن جني، دون تاريخ، (332 /1 .p .

ويُسهم المورفيم الحر (الذي) هنا في بناء ازدواجية انعكاسية: ذات تُقاد فتتمرد، وذاتٌ تقود فيُتمرد عليها، وبهذا، يصير الاسم الموصول محوراً لتعالق مورفيمي تتجمع حوله: ضمائر المتكلم (ي، ـه)، والأفعال

المضارعة الدالة على الاستمرارية في (يقود، وأتمرد)، والتقابل التركيبي بين الفعل ومقلوبه، فهذا النوع من التعالق لا ينتج معنى لغوياً فحسب، بل يُجسد أزمة هوية الوجود لدى أدونيس، إذ لا تستقر الذات في موقع الفاعل أو المفعول، بل تظل عالقة بينهما، والمفردات ترتبط فيما بينها بعالقات مورفيمية ونحوية، التي تتحقق بوسائل مخصوصة، لفظية و معنوية، لتؤدي في النهاية إلى الربط والوصل بين المورفيم البؤري، والمورفيمات المتعالقة بها)النجار، 1994، (190 p. .

ويتعزز هذا التعالق الدلالي في قوله:(أفتحُ للنسيان بحيرة / وأغرقُ فيها تاريخ)، إذ يتجاور الفعل الإرادي الذي يصدر عن وعي وقصد واختيار، ويعبر عن قدرة الذات على اتخاذ القرار ، والتدخل في مسارها النفسي في (أفتح) مع الفعل الإلغائي (أغرق)، الذي يستهدف محوَ أثر سابق أو تفريغه من معناه، لا بوصفه عجزاً، بل بوصفه اختياراً واعياً في الغالب، في سياق يُفهم على ضوء البنية السابقة التي أسسها (الذي)، فالنسيان هنا ليس غياباً سلبياً، بل اختياراً يهدف إلى تفريغ الذاكرة من ثقل الماضي، تمهيداً لإعادة التكوين، وصياغة بناء جديد)أدونيس، 1985، (82 p. .

أما قوله: (فات الوقت / لكي تكون نفسك، لكي تعرف من أنت / فاتتك الطفولة)، فيمثل الذروة النفسية والدلالية للنص؛ إذ يُسقط الاسم الموصول حضورَه الصريح، لكنه يبقى فاعلاً ضمنياً، لأن الذات لا تزال عالقة في سؤال التعريف: من الذي تكونه؟ ومن الذي كان ينبغي أن تكونه؟ فغياب الموصول هنا لا يلغي أثره، بل يؤكد أن التعالق أصبح حالة ثابتة.

وعلى المستوى النفسي، يُنتج هذا البناء القائم على الاسم الموصول (الذي) جملة من الحاجات الإنسانية غير القياسية، من أبرزها:حاجة تنمية الذات عبر الصراع الداخلي، لا عبر التوافق السهل مع الهوية، حاجة الشعور بالكفاءة والقوة المتحققة من قدرة الذات على مواجهة تاريخها وإعادة صياغته، حاجة الاستقلال الوجودي، حيث لا تُعرَّف الذات بما قادها أو قادته، بل بقدرتها على التمرد على الاثنين معاً، وحاجة تحمل المسؤولية ، إذ تُلقى على الذات مهمة تعريف نفسها خارج الزمن الفائت والطفولة المنقضية)أدونيس، 1993، (68 p. .

وبذلك، يتحول الاسم الموصول (الذي) من وحدة لغوية تؤدي وظيفة الربط والوصل إلى مورفيم بؤري يمنح التعالق الصرفي–الدلالي الحركة والنشاط، ويؤطر تجربة نفسية وفلسفية عميقة، تجعل من اللغة أداة تفكير، ومن التعالق النحوي استعارة كبرى لتعالق الهوية، حيث لا يتحقق الوجود إلا في منطقة السؤال، لا في يقين الجواب.

المبحث الخامس: عالقات الاستفهام في العربية:

يعد الاستفهام من البنى اللغوية التي تتجاوز وظيفتها النحوية المباشرة المتمثلة في طلب العلم بالشيء، لتؤدي أدواراً دلالية ونفسية عميقة، ولا سيما في الخطاب الشعري الحديث، فهي لا تُستعمل دائماً بغرض الحصول على جواب، بل تُوظَّف بوصفها أدوات لتوليد المعنى، وتعليق الدلالة، وفتح أفق السؤال على ما يتجاوز المعرفة ، ومن هذا المنظور، يتحول الاستفهام من وحدات وظيفية إلى مراكز دلالية فاعلة تسهم في بناء الوعي داخل النص، وهذه العالقات تتمثل في (الهمزة و هل، أم و أو، أنّى، أين، أيّ، أيّان، كم، كيف، ما، ماذا، متى، من.... إلخ)السيوطي، 1998، (608 /2 p. .

ومن حيث بنيته اللغوية، يدل الاستفهام على مجهول يُطلب تعيينه، غير أن هذا المجهول في السياق الشعري لا يُراد له أن يُحدد بالضرورة، بل يُحافظ عليه بوصفه عنصراً مُنتجاً للاضطراب الدلالي، فالسؤال

هنا لا يُغلق بإجابة، وإنما يبقى مفتوحاً ليؤدي وظيفة فكرية ونفسية، قوامها زعزعة اليقين، واستفزاز الوعي، ودفع الذات إلى إعادة التفكير في مسلماتها)ابن هشام، 1985، (66 p. .

و إذا ما انتقلنا إلى التحليلات النفسية والفلسفية، يمكن النظر إلى عالقات الاستفهام بوصفها تمثيلاً لغوياً لحالة القلق والاضطراب والتوتر ومعرفة السبب، حيث يصبح السؤال تعبيراً عن حاجة داخلية إلى الفهم، لا عن نقص معرفي عابر، وهي، بهذا المعنى، تُجسد حركة الذات من السكون إلى البحث، ومن الامتثال إلى المساءلة، فتغدو أداةً لتشكيل الفعل الوجودي، ذلك الفعل الذي تُعبر من خلاله الذات عن وعيها بذاتها وبموقعها في الوجود، وتُحدِث به تحولاً في المعنى والهوية، بصرف النظر عن تحققه الخارجي أو صورته النحوية)الحمداني، 2004، (225 p. .

وعند أدونيس، تتخذ عالقات الاستفهام بعداً خاصاً، إذ تُستثمر لتفكيك البنى للمعنى، وتعالق الهوية، وإعادة تعريف العلاقة بين الذات والآخر، فهي لا تقود إلى أجوبة نهائية، بل تُكرّس منطق السؤال الدائم، بوصفه شرطاً للحرية الفكرية وتنمية الذات، وتكشف، في الوقت نفسه، عن حاجات إنسانية غير قياسية، في مقدمتها الحاجة إلى الاستقلال الفكري، وتحمل المسؤولية المعرفية، وبناء المعنى عبر التساؤل لا عبر الامتلاك، ومن ذلك قوله)أدونيس، 1988 أ، (31 p. .

وليكنْ وجهيَ فينًا!

دهْرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا

العاشق الأول للنار

تحبلُ النار أياميَ نارٌ أُنثى دَمٌ تحت

نهديها صليلٌ والإبطُ آبارُ دمعٍ نهَرٌ تائهٌ وتلتصق

الشمس عليها كالثوبِ تزلقُ جرحٌ فَرَّعتْه

وشعشعَتْهُ ببَاهٍ وبهارٍ (هذا جنينُكِ؟) أحزانيَ وَرْدٌ.

دخلتُ مدرسة العشب جبيني مُشقّقٌ ودمي يخلع

سلطانَه: تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة

بالخبز؟ تناثرتُ في رواقٍ من النار اقتسمْنا

دمَ الملوكِ وجعْنا نحمل الأزمنه

مازجين الحصى بالنجومْ

سائقين الغيومْ.

كقطيعٍ من الأحصنَه

تتأسس هذه المقطوعة على بنية لغوية كثيفة تتخذ من الاستفهام مركزاً فاعلاً للدلالة، إذ تتحول أدوات الاستفهام من وحدات تركيبية وظيفية إلى مورفيمات بؤرية تُدار عبرها شبكة من التعالقات الصرفية والدلالية، ولا ينهض الاستفهام هنا بوظيفته التداولية المتمثلة في طلب الجواب، بل يُستثمر بوصفه آلية لتعليق الدلالة وتأجيل الحسم، بما يُنتج توتراً و اضطراباً لغوياً ممتداً داخل النص)السامرائي، 2011، pp. 200-207) .

يظهر الاستفهام صراحةً في قوله :(هذا جنينكِ؟)، حيث تُستعمل أداة الاستفهام لتعليق علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر، فلا يُحسم الانتماء الدلالي لـ (الجنين)، بل يبقى مفتوحاً على احتمالات متعددة، ويتعالق هذا الاستفهام مع حقل صرفي–معجمي يتصل بالجسد في (الدم، النهدان، الجرح) وبالتحول في (تحبل، فرّعت، شعشعت)، فتغدو أداة الاستفهام بؤرة تنتظم حولها هذه الوحدات، وتُنتج دلالة الولادة غير المكتملة .

ويتكرر هذا التعالق الدلالي في قوله :(تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟)، حيث يتشكل الاستفهام عبر أداتين مختلفتين تؤدي كل منهما وظيفة لغوية مخصوصة، فأداة الاستفهام (ما) في قوله (ما أفعل؟)، تؤدي إلى تعالق تعيين الفعل نفسه، فلا يُطلب مفعول ولا نتيجة، بل تعالق اختيار الفعل واتجاهه، أما أداة الاستفهام (هل) في قوله (هل أحزم المدينة بالخبز؟)، فتعمل على اختبار تحقق الفعل وإمكان إسناده إلى الذات، فيبقى الفعل عالقاً بين الإثبات والنفي دون ترجيح)المبرد، دون سنة، p. 3/ 289) .

وتُسهم هذه الأدوات الاستفهامية في بناء تعالق صرفي مع ضمير المتكلم، والأفعال المضارعة، ومفردات (المدينة، الخبز)، بما ينقل البنية الاستفهامية من مستوى السؤال الفردي إلى مستوى أوسع تتداخل فيه الذات مع المحيط الجماعي، غير أن هذا الانتقال لا يُنجز دلالياً، إذ يظل الاستفهام قائماً بوصفه بنية لغوية غير مغلقة.

ويُفضي هذا التعليق المستمر إلى توليد دلالات نفسية غير مباشرة، تتمثل في حاجات غير قياسية، أبرزها: الحاجة إلى تنظيم الذات عبر الاختيار اللغوي المؤجَّل، والحاجة إلى الشعور بالكفاءة من خلال تعليق الفعل قبل إنجازه، فضلاً عن الحاجة إلى تحميل الذات مسؤولية لغوية عن أفعال لم تتحقق بعد)الزغول &الهنداوي، 2014، pp. 305-306) .

وبذلك، تتأكد فاعلية أدوات الاستفهام بوصفها مورفيمات بؤرية تُسهم في بناء المعنى عبر التعليق والتأجيل، لا عبر التقرير والإنجاز، وتكشف عن قدرة البنية اللغوية على تمثيل التوتر النفسي دون الإفصاح عنه تصريحًا، في انسجام واضح مع خصوصية الخطاب الشعري عند أدونيس، والخطاطة التالية توضح ذلك:

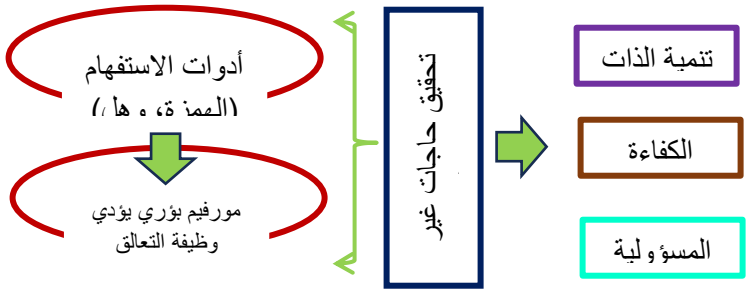

الخطاطة (3) تبين دور العالقات الاستفهامية في تحقيق الحاجات غير االقياسية

نتائج البحث:

تكشف هذه الدراسة عن منظومة دقيقة من العلاقات المورفيمية في شعر أدونيس، تقوم على تمركز المورفيم الحر بوصفه بؤرة دلالية تتفرع عنها شبكة من الوحدات المتعالقة، تتشكل عبر مورفيمات حرة فاعلة تُسهم في بناء صورة الحاجات الإنسانية غير القياسية في أبعادها النفسية والوجودية، ويمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- يبرز المورفيم الحر في شعر أدونيس بوصفه نواة مولدة للمعنى، لا يُختزل في دلالته المعجمية المباشرة، بل يتحول إلى مركز جذب دلالي تنتظم حوله المورفيمات المتعالقة، فتتشكل من خلاله بنية صرفية ذات طابع عضوي تُعيد إنتاج الحاجة الإنسانية غير القياسية في بعدها النفسي .

2- يمثل التعالق المورفيمي الحر آلية تفسيرية كاشفة عن قدرة الصرف العربي على توليد مستويات متعددة من الدلالة، إذ لا تعمل الجذور، وضمائر الفصل، وحروف الجر، والأسماء الموصولة، وعالِقات الاستفهام، بل تدخل في علاقات دينامية مع المورفيم البؤري، بما يعيد تشكيل المجال الدلالي للنص.

3- تتجسد الحاجات الإنسانية غير القياسية داخل البنية الصرفية من خلال تفاعل المورفيم الحر مع المورفيمات المتعالقة؛ فتظهر حاجة تنمية الذات عبر صيغ التحول والتجاوز، وحاجة الكرامة والكفاءة عبر البنى الدالة على التعيين والحضور، وحاجة الاستقلال الوجودي عبر الصيغ التي تفكك التبعية وتعيد بناء العلاقة مع الآخر.

4- يتجاوز توظيف أدونيس للمورفيم الحر حدود البنية اللغوية ليغدو أداة لكشف البنية النفسية للذات؛ إذ تتسع البؤرة الصرفية لتصبح مرآةً للتحولات الداخلية، وتغدو المورفيمات المتعالقة مسارات دلالية ترصد انتقال الذات بين الامتلاء والفراغ، وبين الحضور والغياب.

5- تتأسس البنية الشعرية على مبدأ التساند العضوي بين المورفيمات التي يسميها البحث بالعالِقات المورفيمية، حيث لا يظهر أي مورفيم حر مستقلاً، بل يدخل في شبكة من العلاقات تمنحه وظيفة دلالية جديدة تتوافق مع السياق وتعيد تشكيل الحاجة الإنسانية داخل النص.

6- تؤكد الدراسة أن شعر أدونيس يوسع أفق الصرف العربي من كونه نظاماً اشتقاقياً أو إحالياً إلى أداة تأويلية، تتداخل فيها البنية الصرفية مع الطبقات الدلالية، فيغدو المورفيم الحر وسيطاً بين اللغة والوعي الوجودي.

7- يبرهن تنوّع البؤر المورفيمية الحرة (الجذور، وضمائر الفصل، وحروف الجر، والأسماء الموصولة، وعالِقات الاستفهام) أن أدونيس لا يعتمد مورفيماً واحداً مركزياً، بل يستثمر تعدد البؤر لتوليد مستويات متراكبة من الدلالة، بما يجعل التجربة الإنسانية في شعره تجربة متعددة الأصوات والبنى في آن واحد.

8- يُظهر البحث أن علاقة المورفيم الحر بالحاجة الإنسانية غير القياسية ليست علاقة إسقاط مباشر، بل علاقة بناء تأويلي، تتشكل عبر حركة المورفيم بين موقعه التركيبي وطاقته الصرفية ومقتضيات السياق الشعري، لتغدو الحاجة الإنسانية بنية لغوية داخل النص لا موضوعًا خارجيًا مفروضًا عليه.

المصادر والمراجع:

ابن جني، أ. ا. ع. (.، دون تاريخ. الخصائص. الرابع المحرر القاهرة-مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- ابن هشام، أ. م. ع. ج. ا. (.، 1985. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. السادس المحرر دمشق: دار الفكر.

- أبو عابد، م. م.، 1997. محددات الرضاء الوظيفي لمعلمي المرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية، أطروحة دكتوراه. تونس: جامعة تونس للاداب والفنون والعلوم الانسانية .

- أدونيس، ع. أ. س.، 1978. زمن الشعر. الثاني المحرر بيروت- لبنان: دار العودة.

أدونيس، ع. أ. س.، 1979. مقدمة للشعر العربي. الثالث المحرر بيروت- لبنان: دار العودة.

أدونيس، ع. أ. س.، 1985. سياسة الشعر، دراسات في الشعرية العربية المعاصرة. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الآداب.

أدونيس، ع. أ. س.، 1988 أ. هذا هو اسمي. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الآداب.

أدونيس، ع. أ. س.، 1988 ب. احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الآداب.

أدونيس، ع. أ. س.، 1989. الثابت والمتحول (الأصول). الرابع المحرر بيروت- لبنان: دار العودة.

أدونيس، ع. أ. س.، 1993. النص القرآني و آفاق الكتابة. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الآداب.

أدونيس، ع. أ. س.، 2005. تنبأ أيها الأعمى. الثاني المحرر بيروت- لبنان: دار الساقي.

أدونيس، ع. أ. س.، 2008 أ. اهدأْ، هاملت تَنشق جنونَ أوفيليا. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الساقي.

أدونيس، ع. أ. س.، 2008 ب. ليس الماء وحدَهُ جواباً عن العطش. الأول المحرر دبي: دار الصدى.

أدونيس، ع. أ. س.، 2010. فضاءُ لغبار الطلع. الأول المحرر دبي: دار الصدى.

الإمام، غ.، 2010. جاستون باشلار جمالية الصورة. السادس المحرر بيروت- لبنان: التنوير للطباعة والنشر.

البوعمراني، م. ا.، 2006. أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية. الأول المحرر صفاقس: دار نهى .

الحسني، إ. أ. ط. م.، 2021. التوافق النفسي وعلاقته بالحاجات النفسية. مجلة العلوم التربوية والنفسية، الخامس(الحادي عشر)، 170-148. pp.

الحمداني، م.، 2004. علم نفس اللغة من منظور معرفي. الأول المحرر عمان- الأردن: دار المسيرة.

الزجاجي، أ. ا. (.، 1959. الإيضاح في علل النحو. دون إصدار المحرر مصر: مطبعة المدني.

الزغول، ع. ع. و الهنداوي، ع. ف.، 2014. مدخل إلى علم النفس. الإصدار الثامن المحرر لبنان-بيروت: دار الكتاب الجامعي.

الزمخشري، أ. ا. ج. ا. م. (.، 2001. أساس البلاغة. الأول المحرر بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.

السامرائي، ف. ص.، 2011. معاني النحو. الإصدار الخامس المحرر عمان - الأردن: دار الفكر.

السيد، ع. م.، 1998. نظريات الشخصية. الأول المحرر القاهرة- مصر: دار قباء للطباعة والنشر.

السيوطي، أ. ب. ج. ا. ب. ع. (.، 1998. همع الهوامع شرح جمع الجوامع. الأول المحرر لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية.

الطائي، ع. ق. م.، 2013. مبادئ اللغة العربية قواعد وأحكام علمي النحو والصرف. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

الطوبيي، ع.، 1992. التدريس والصحة النفسية للتلميذ. الأول المحرر طرابلس: دار الجماهيرية للنشر والتوزيع.

الطويل، ص. ع. ه.، 1986. الإدارة التربوية والسلوك المنظم. عمان- الأردن: مديرية المكتبات، الوثائق الوطنية.

المبرد، أ. ا. م. ب. ي. (.، دون سنة. المقتضب. بيروت- لبنان: عالم الكتب.

النجار، ل. إ.، 1994. دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية و تقعيدها. الأول المحرر عمان- الأردن: دار البشير.

تاوريريت، ب.، 2009. آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم. الأول المحرر القاهرة- مصر: عالم الكتب.

حفيظ، ع.، 2015. الكتابة وبناء الشعر عند أدونيس. الأول المحرر بيروت- لبنان: دار الساقي.

سالم، ز.، 2006. في بيتنا مراهق متطرف دينياً دراسة نفسية اجتماعية للدوافع. الأول المحرر القاهرة- مصر: مركز الكتاب للنشر.

عبدالقادر، ش.، 2016. الحاجات والسلوك الإنساني. الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، Issue التاسع، pp. 537-564.

فيدوج، ع.، 1994. الرؤيا والتأويل: مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة. الأول المحرر بوهران: ديوان المطبوعات الجامعية.

هاني، ع. ص.، 1993. مصادر إشباع الحاجات النفسية للشباب. مجلة رسالة الخليج العربي.